النفحة الرابعة عشرة: معالم الصبر في رَمَضَانَ

من الثمار اليانعة التي يجنيها العبد في شهر الصيام «الصبر»، لأن في الصوم تعويداً وتدريباً للمؤمن على الصبر، ولقد سمى النبي ﷺ شهر رَمَضَانَ بشهر الصبر، وقال الحبيب ﷺ: «**الصوم نصف الصبر**»[1].

ويتَّضح ذلك عندما يصوم المسلم فيتوجب عليه أن يكف شهواته على ما اعتاده من أكل الطيبات والملذات، وفي ذلك قمة الصبر، وحين يصبر على ما يجد من قسوة الجوع ولهيب العطش ووهن الجسم والنفس، وما يقوم به من عبادات وقربات في الليل من صلاة التراويح والقيام، والنهار من كثرة الذكر وتلاوة القرآن، وهذا نوع من الصبر على طاعة الله تعالى، فالصوم على هذا يجرد العبد من حظوظ نفسه، وشهواته التي تأصلت به وجبل عليها، ويجعله يتسامى ويتعالى على دواعي النفس ورغباتها، ولا يتحقق هذا إلّا بالصبر.

من هذا المنطلق أخذ الحديث عن الصبر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ شوطاً كبيراً ومساحة ليست بالقليلة، وجعل الله سبحانه وتعالى للصبر تشعبات كثيرة في حياة المسلمين، كما جعل له خصالاً ومزايا تنعكس على العبد، فيعيش في ظلها ويسعد بنتائجها.

ولنا أن نتلمس معالم الصبر وثماره في كتاب الله تعالى، وما يفرز من سعادة يتسربل بها الإنسان إن كان جلداً صابراً في المواقف والميادين التي تقتضي منه ذلك.

يأتي الصبر في حياة المسلم ليكون عوناً له على العبادة والطاعة، ومواصلة أعمال الخير والبر، ولا يمكن للقربات والعبادات أن يتنامى نسيجها، ويزكو

(1) رواه الترمذي، 5/ 536 وقال: هذا الحديث حسن، ورواه الدارمي 1/ 174، رقم: (654).

نورها، وتبقى قوية متدفقة في كيان المسلم ما لم ترتكز على دعائم الصبر وقواعد المصابرة، ومن هنا يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البَقَرَة: 45]، فالصبر خير معين لك على مداومة الأعمال واستمرارها.

ويأتي الصبر في ميادين الوغى وساحات لقاء العدو، فيكون خير زاد ينسكب في قلوب البواسل الذين استمدوا صمودهم وجسارتهم من صبر أفاضه الله عليهم وغمرهم به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البَقَرَة: 250]، إنه ثبات لا تزلزله كثرة العدو وقوته، ومع هول المعركة ومشقة اللقاء، إلّا أن الصابر هو الذي يقرر مصير المعركة، وحسم المواقف، ما دام متصلاً بالخالق العظيم سبحانه.

والآيات التي تعزز هذا المعنى كثيرة، ورسمها لملامح الصبر في ساعات الضيق والحرج دقيقة، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عِمْرَان: 146].

ويقول سبحانه: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عِمْرَان: 125].

ويأتي الصبر ليكون سبباً من أبرز الأسباب التي تسهم في وراثة الأرض وبسط سلطان الحق عليها، فكلما كان المستضعفون في الأرض صابرين محتسبين، لا تؤثر في إيمانهم جوائح الهوى، وتيارات الباطل، استأهلوا ليكونوا بحق خلفاء الله في أرضه، ورثوا الملك وأخذوا بأزمته.

فهذا حديث موسى عليه السلام يقول: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعرَاف: 128]، فكانت النتيجة الواضحة: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[الأعراف: 137].

ويأتي الصبر في حياة الأتقياء ليكون عنوان حب بين العبد وربه فلقد أوجب الحق ﷻ محبته للصابرين، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[آل عِمرَان: 146]، كما أنه أوجب معيته وحفظه وتأييده لهم فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 249] فأي فضل هذا الذي حاز عليه الصابرون من ربهم؟ إنه حب ومعية.

ويمتد الصبر في صفحات الكون وحناياه، ليكون مؤشراً لأولي الالباب ودليلاً على عظمة الخالق وإبداعه في الكون، فلم ينل أحد درجة التفكر والتدبر في ملكوت الله والانتفاع بالعبر والآيات الكونية كما نال ذلك الصابرون، ولنصغ لحقيقة هذا المعنى في كتاب الله قال الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾[إبراهيم: 5].

وعندما تحدث عن قوم سبأ قال جل ثناؤه: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾[سَبَإ: 19].

ولا يصل العبد إلى مقام «الإمامة» إلّا بالصبر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السَّجدَة: 24]، وإن المتتبع لسِيَرِ الأنبياء والصالحين، وحتى العباقرة والمبدعين، يجد أن ما نالوه من أعلى الدرجات وما حصلوا عليه من الأوسمة والحفاوات، كان بفضل جلدهم وصبرهم في شتى شؤون حياتهم.

فهذا يوسف عليه السلام، قد مكّن الله له، وجعله على خزائن الأرض، فأمره مطاع، وكلامه نافذ، والناس يفدون إليه من كل فجاج الأرض، فلما قدم عليه إخوته: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يُوسُف: 90].

فبصبره استطاع أن يتجاوز المحن ويتغلب على الشدائد حتى بوَّأه الله صدارة القوم وسيادتهم.

وهذا إبراهيم عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة، لشدة المحن والبلايا التي نزلت عليه، وكان من أجلها تلك المحنة التي أمر بها أن يذبح ولده، فانقاد لأمر الله صابراً ومحتسباً هو وولده إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصّافات: 102].

وكم أثنى مولانا سبحانه على نبيه أيوب عليه السلام، لجلادته في الأمور وصبره على الاختبار السماوي، فأثنى الله عليه قائلاً: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [صٓ: 44].

وهكذا شأن باقي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: 85].

ويعجز البيان عن وصف صبر سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ (منذ بدء الجهر بالدعوة وما لاقى من صناديد ورجالات قريش من الأذى والتعذيب والسخرية والاستهزاء، وأنواع الحصار والتجويع والمقاطعة، ثم الهجرة وترك الوطن و الديار، وغير ذلك من أصناف العداء... ولعظيم الأحداث الجسام التي كانت تقف في وجه النبي ﷺ جاء القرآن ليثبته ويصبره في كثير من المواقف الحرجة، ولو لم تكن المصائب التي توجه إليه شديدة الوقع والخطب لما أمره الله تبارك وتعالى بالصبر والتحمل، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النّحل: 127]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الرُّوم: 60].

وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35].

أيها الأحبـاب:

لقد جعل الحق ﷻ للأعمال ثواباً محدداً، فجعل الحسنة بعشر أمثالها لمن قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى، وجعل خمساً وعشرين درجة لمن صلّى في جماعة، وهكذا في كثير من أنواع الطاعات والعبادات إلّا الصبر، فإن المولى تبارك وتعالى لم يحدد رقماً محدداً ولا عدداً ثابتاً للصابر، بل ترك باب العطاء مفتوحاً على مصراعيه للصابرين المحتسبين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: 10].

وتصبير النفس على لأواء العيش، وإرهاق الجانب يحتاج إلى عزم وقوة، ومجابهة الشدائد وتحمل المكاره لا يقوى عليها من عاش في كنف الدعة والطراوة، ذلك لأن طريق الإيمان ومنهج الشرف والأنفة، لابدّ فيه من حزم وصبر من طراز خاص، ومن استسهل المتاعب ألفها.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى[1]: الإنسان يتحرك ويكتشف معدنه، ويغزر إنتاجه كلما أحسَّ خطر المعارضين، أو صدمات الشدائد، كأن أسرار الحياة الكامنة فيه يستثيرها التهديد، فتحفز للدفاع عن نفسها، فتندفع إلى الأمام ناشطة آملة.

ومعادن العظماء إنما تبرق وسط الأنواء التي تكتنفها، فكأن هذه الأنواء رياح تنفخ في ضرامها فيتوهج، ولو ترك وحده لكان وشيك الانطفاء.

ومن حكمة الله البالغة أنه لم يدع البشر يحيون في بيئة تعطيهم خيرها منحاً، بل استحياهم في بيئة تفرض الكفاح فرضاً، ولا تعطي الثمار إلّا بعد غراس، وهذا الجهد المبذول من مصلحة الحياة نفسها لتبقى وتزدهر، ومن مصلحة الأحياء أنفسهم ليبلغوا تمامهم.

حكى أحد العلماء عن نفسه فقال: كنت مغرماً في طفولتي بجمع شرانق

(1) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي، ص195.

الفراش، ومراقبة خروج الفراشة منها في الربيع، وكان جهادها في التخلص من سجنها يثير عطفي دائماً، وأتى والدي يوماً بمقص وأعمله في غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص، ولكنها ما لبثت قليلاً حتى ماتت، وعندئذ قال أبي: يا بنيَّ إن الجهد الذي تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها، وإن لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة، وكذلك الناس إذا جهدوا في سبيل ما يريدون زادوا قوة وعزماً، ولكن إذا واتاهم ما يريدون سهلاً طيعاً، غلب عليهم الضعف، ومات منهم شيء جليل الخطر.

وهكذا تعلم أن طبيعة الحياة عجيبة، لأنها لا تعطينا إلّا لتأخذ منا، ولا تهب لنا شيئاً إلّا لتنال مقابلاً، إنها تكيل لنا صاعاً بصاع، فلا غرو إذا كانت آمالنا لا تتحقق إلّا بين الأشواك في الأرض الوعرة، وكأنما شاءت الدنيا أن تخفي مفاتنها تحت مصارع المطامع لتدفع الإنسان إلى مواجهتها والتغلب عليها.

وهذا هو الميزان الذي يقاس به الناس، وتعرف به معادنهم، وبهذا المعيار يتضح الفرق الواضح والبون الشاسع بين الرجال الأبطال العظماء الذين يتحدون الملمات والشدائد بالقوة والصبر والعزم، وبين الصعاليك الرعاديد الذين جعلوا الحياة مزاجاً واحداً وطعماً لا يتغير، وقديماً قالوا: وبضدها تتميز الأشياء، فلا طعم للحلو دون المر، ولا مذاق للماء الفرات دون الماء الأجاج.

ومن هنا كان للمسلم عند ربه وهو يكافح الحياة ويكابد مرارتها أجر عظيم وثواب جزيل إن هو صبر واحتسب، قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفر الله بها من خطاياه**»[1].

وقال ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي له الرضى، ومن سخط فله السخط**»[2].

(1) رواه البخاري، 5/ 2137، رقم: (5318).

(2) رواه الترمذي، 4/ 601، رقم: (2396)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وعن عائشة ﵂: أنها سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّاعُونِ فأخبرها أنهَ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ يَكُونُ فِيهِ وَيَمْكُثُ فِيهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ الْبَلَدِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ[1].

وهذا الحديث يسكب العزاء والسلوان في قلوب بعض المسلمين الذين ابتلاهم الله تعالى بأمراض العصر المتنوعة والفتاكة، كالسرطان والسكر والكبد وغيرها من الأمراض التي يعسر الشفاء منها، والشفاء بيده سبحانه، فهؤلاء إن صبروا كانت أمراضهم رحمة ورفعة لهم، وحشروا يوم القيامة في زمرة الشهداء، وأكرم بها من منزلة وأنعم بها من خاتمة.

ولقد ضرب لنا أصحاب النبي ﷺ أجلَّ الأمثلة في صبرهم وحزمهم وهم يرتوون من مناهل الإيمان ويتفيؤون ظلاله، ويبلغون رسالة السماء ونور الوحي.

فهذا بلال بن رباح ﵁، سطَّر سيرة عظيمة في درب النضال والمصابرة لا يمكن أن ينساها الزمان، ولا تشبع الآذان من سحر نشيدها، فلقد عانى بلال بعد اعتناقه الإسلام من صناديد قريش من القسوة والبطش والغلظة ما لم يعانه غيره، وصبر هو ومن معه من المستضعفين على الابتلاء في سبيل الله كما لم يصبر أحد، فكان أغلاظ قريش إذا توسطت الشمس كبد السماء، والتهبت رمال مكة بالرمضاء، ينزعون عنه ثيابه، ويُلهبون ظهره بالسياط، ويطبقون على صدره الصخور، ويشتدون عليه في النكال، فيهتف: أحد أحد... أحد أحد...

وكان الطاغية الجبار أمية بن خلف إذا ملَّ من تعذيبه، طوق عنقه بحبل غليظ، وأسلمه إلى السفهاء والولدان، وأمرهم أن يطوفوا به في شعاب مكة، وأن يجروه في أباطحها... فكان بلال رضوان الله عليه يستعذب العذاب في سبيل الله ورسوله، ويردد على الدوام نشيده العلوي: أحد أحد.

ولا يخفى علينا خبر خباب بن الأرتّ ﵁، وصبره وتحمله في سبيل الدين

(1) رواه البخاري، 3/ 1281، رقم: (3287).

والإيمان، فقد لاقى من قومه من العذاب والتنكيل ما الله به عليم، فكانوا إذا اشتدت الهاجرة، وغدت أشعة الشمس تلهب الأرض إلهاباً، أخرجوه إلى بطحاء مكة، ونزعوا عنه ثيابه، وألبسوه دروع الحديد، ومنعوا عنه الماء، حتى إذا بلغ منه الجهدُ كل مبلغ جاؤوا بالحجارة المحمية وألصقوها بظهره، وأبقوا عليها حتى يسيل دهن كتفيه.

وكانت سيدته أم أنمار[1]، تجيء إلى خباب يوماً بعد يوم، فتأخذ حديدة محمية من كِيْره، وتضعها على رأسه حتى يدخن رأسه، ويغمى عليه، ولم يزحزح ذلك من عقيدته شيء، بل زاده صبراً وإيماناً وتسليماً.

أيها المسلمـــون:

لقد تنوعت عبارات العلماء وأحاديثهم حول الصبر وثماره، ولكنهم اتفقوا على أن الصبر هو[2]: حبس النفس على المكروه، وأنه من أصعب المنازل على العامة، وأوحشها في طريق المحبة.

وإنما كان صعباً على العامة، لأن المعاصي مبتدئ في الطريق، وليس له دُربةٌ في السلوك، ولا تهذيب المرتاض بقطع المنازل، فإذا أصابته المحن أدركه الجزع وصعب عليه احتمال البلاء، وعزَّ عليه وجدان الصبر، لأنه ليس من أهل الرياضة، فيكون مستوطناً للصبر، ولا من أهل المحبة، فيلتذّ بالبلاء في رضا محبوبه.

يقول الإمام الدجوي: الصبر هو الدواء الشافي لمن ملك الحزن على نفسه، والبلسم المعافي لمن قبض الجزع على زمام عواطفه، بل هو عين الراحة، وينبوع الفرح، ومبيد الهموم، ومزيل الغموم، ولا سبيل إلى ما علق بالمرء من الأحزان إلّا التمسك به والتعلق بأهدابه، فهو ركن حصين في محاربتها، وعماد قويم على دفعها، وناهيك بعظم ثواب الصابرين، وسوء عاقبة الجازعين[3].

(1) صور من حياة الصحابة: د. عبد الرحمٰن باشا، ص313 و 428.
(2) مختصر مدارج السالكين: لابن القيم، 2/ 567.
(3) إتمام فتح الأخلاق ص43.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله[1]: (لا يكون التمكين إلّا بعد المحنة، فإذا امتحن الإنسان فصبر مُكِّن، ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم ثم مكنه، وامتحن أيوب ثم مكن له، فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: 84]، وامتحن سليمان ثم آتاه ملكاً، وكذلك يوسف عليه السلام.

فمن نظر في هذا فليعلم أن مدة هذا البلاء خطوات في ميدان معاملة، ويا قرب النهاية، فليصابر هجير الصبر، فما أسرع انقضاء اليوم، وليحذر من الخسران في موسم البلاء، فربما ذهب أهل البضاعة).

ولقد جمع الإمام الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين»[2] مجموعة أقوال مباركة في حد الصبر وثماره للصحابة الكرام رضوان الله عليهم ولبعض السلف، منها:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو.

وقال عبد الحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الصبر والشكر بعيران، ما باليت أيهما ركبت.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أفضل العدة، الصبر على الشدة.

وقال بعض البلغاء: من خير خلالك، الصبر على اختلالك.

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمية: الصبر صبران، فاللئام أصبر أجساماً، والكرام أصبر نفوساً، وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكدِّ والعمل، لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوباً، وللأمور متحملاً، ولجأشه عند الحفاظ مرتبطاً.

وقال عبيد بن الأبرص:

صَبِّر النفس عند كل مُلِمِّ … إن في الصبر حيلة المحتال

(1) المنتقى من ذم الهوى، لابن الجوزي ص 204.

(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي ص276.

رُبَّ ما تجزع النفوس من الأمر ... له فرجة كحل العقالِ

وقال محمد بن البشير:

إن الأمور إذا سدت مطالبُها ... فالصبر يفتق منها كلَ ما ارتتحا

لا تيأس وإن طالت مُطالبةٌ ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا